مدينة ورقلة .التسمية والتأسيس

(دراسة تاريخية)

أ : أحـــمد ذكـــار
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

ملخص:

أتناول في هذه الورقة البحثية الجذور التاريخية لتأسيس وتسمية مدينة من المدن الصحراء الجزائرية العتيقة , التي تعرف حاليا باسم ورقلة، هذه المدينة التي تقع في الجنوب الشرقي الجزائري ، وتبعد عن العاصمة بحوالي 800 كلم , أرجعت المصادر عمقها التاريخي إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا بعدة قرون ، شيدتها قبيلة بني وارکلا الزناتية الأمازيغية، التي حلت بالمنطقة فارة من الضغوطات واغتصاب الأراضي , الذي مارسهما الاستعمار الروماني على الأهالي في الشمال، بعد أن اجتـــاح منطقة جنوب البحر الأبيض المتوسط قبل نهاية القرن الأول قبل للميلاد ، فما كان من المواطنين الأمازيغ إلا التوجه مهـــاجرين نحو الجنوب ، وما إن وصلوا إلى منطقة الزاب ، حتى انتشروا في الصحراء ، وأسسوا على أديمها مدن وقرى جديدة ، ومن بين الوافدين الجدد قبيلة بني وركلا الزناتية , التي حطت رحالها جنوب غرب بسكرة على بعد ثمانية مراحل حسب رأي بن خلدون ، في منطقة تتوفر على الماء و الكلأ , فنزلت بربوة عالية و خالية من السكان ، و شيدت عليها قصورها ، وشرعت فـــي غـــرس النخيل بمحيطها حتى تكونت واحة , وأصبحت تنعت باسم القبيلة ، ونطقت هذا الاسم كل جهة بلسانها ومن ضمن الأســـماء التـــي أطلقت عليها ووصلتنا نذكر : (وارکلة ، وارکلا ، وارجلان ، وارجلن ، وارقلة ، ورقلة، ....).

كلمات مفتاحيه :

ورقلة ، وارجلان ، الصحراء، الغرمنتيون ، القصر ، نوميديا ، سدراته ، نقوسة ، الأمازيغ ، بنو غانية ، الرســـتمية ،حاســـي مويلح ، قارة كريمة ، كهف السلطان، الجيتول .

Résumé

Aborder dans cet article les racines historiques de la Fondation et la désignation de l'antique ville de Sahara algérien, qui actuellement Ouargla, cette ville est située dans le sud-est de l'Algérie, profondeur des sources historiques, attribuée à les foutouhates islamiques de l'Afrique du Nord avant plusieurs siècles, construite par Baní warkala alznatet Amazigh, cause de la pression et l'accaparement des terres, ce qui a été exercé par la colonisation romaine dans le Nord, après avoir balayé le sud de la Méditerranée avant la fin du premier siècle aj des citoyens Amazighs mais immigrés vers l'orientation sud arrivée au Zab, ont été déployés dans le désert, trouvé sur son cuir nouvelles villes et villages parmi les nouveaux arrivants les Benis warkala, dont sud-ouest au débarquement de huit étapes de Biskra après Ibn Khaldoun, dans le domaine de l'eau et de pâturages sont disponibles, la colline et a atterri libre de personnes, et ils construit leurs **gosseurs,** et a commencé à planter des palmiers circonférence ainsi formé leur **OASIS,** et décrire le nom de la tribu, où elle a prononcé (warglan - warjalane Ouargla....).

المقدمة:

اختلفت المصادر والمراجع ، وكتابات الرحالة والآباء البيض، وتقارير الضباط العسكريين الفرنسيين , والروايات الشفوية والأساطير الشعبية ، في أصل تسمية المدينة، و نطق اسمها ومدلولاته اللغوية والاصطلاحية ، فقد وردت فيما تيسر لي الوصول إليه والاطلاع عليه والاستماع إليه، من المكتوب والمروي على النحو الآتي: **(وارجلان ــ وارجلة ــ واركلا ــ واركلة ــ وارقلا ــ وارقلة ــ ورقلة ــ وارقلان ــ وارقرن ــ)** .

جميع هذه الأسماء المتنوعة التي تختلف في النطق, وفي شكل الكتابة, والجهة التي أطلقتها , والعصر الذي استعملت فيه دالة على مكان واحد هو ورقلة الحالية ، إن المادة الخبرية المصدرية التي وصلتنا عن ورقلة في فترات ما قبل التاريخ وفجر التاريخ والتاريخ القديم ، وعلى الخصوص في الفترة الممتدة ما بين الألف الثانية قبل الميلاد إلى القرن السابع ميلادي، لم تذكر اسم هذه المدينة بأية صفة من الصفات، وكل ما ذكرته عنها هو مجرد إشارات وتلميحات إلى الشعوب التي قطنت جنوب غرب فزان و الزاب و مسعد[1] من: الغرمنتيين والجيتوليين والإثيوبيين والبربر الذين كانوا يتجولون في هذه الجهة [2] وعن المبادلات التجارية التي كانت بين هؤلاء, والشمال الخاضع للسيطرة الأجنبية دون أن يتم ربطهم برقعة جغرافية لها اسم معين.

أسماؤها عبر التاريخ :

حسب إطلاعي المتواضع فإنها لم تذكر في الفترة التي سبقت الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب بأي اسم, بل كل ما وصلتنا من معلومات تعود إلى هذه الفترة، هي مجرد إشارات وتلميحات للبربر الذين سكنوا هذه الجهة و علاقتهم المتوترة مع الجهة الشمالية المحتلة من طرف الرومان وغيرهم من المستعمرين القدامى .

أما بالنسبة لمصادر القرون الوسطى الإسلامية التي أرخت للفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب في القرن الأول للهجرة السابع للميلاد، وكذا للدويلات الإسلامية التي قامت على أرضه وتوسعاتها، و للإمارات والسلطنات التي قامت هنا و هناك في الجهة , فإنها لم تذكرها في مراحل الفتوحات رغم أن الفاتح الكبير عقبة بن نافع الفهري قد اختار طريق الصحراء ، وعبر الواحات[3] لنشر الرسالة الإسلامية في ولايته الثانية من62 هـ إلى 64هـ ، لكنها لم تصلنا أية معلومة على أنه مر عليها أو على القرى المحيطة من حولها، و بالتالي غاب ذكر اسمها في المصادر التي تضمنت أخبار وأحداث النصف الثاني من القرن الأول للهجرة النصف الثاني من القرن السابع للميلاد .

ولم يرد اسمها صراحة دون كناية إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة القرن الثامن ميلادي، يوم بلغت الدولة الرستمية أوجها وأمتد سلطانها من الناحية الجنوبية حتى مدينة ورقلة، وقد ورد ذكرها بقوة بعد ذلك في المصادر التي أرخت لسقوط الدولة الرستمية , وهجرة الناجين من الهلاك إلى وارجلان (ورقلة) ومن ضمنهم أبو زكرياء يحيى[4] الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، و كتب عن الهجرة الرستمية إلى ورقلة ولم يذكرها في كتاباته إلا باسم **وارجلان**، لكنه لم يقدم لا ترجمة ولا تفسيرا لمدلولات هذا الاسم .

كما وردت في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب للمؤرخ المغربي عبد الله البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، باسم **وارجلان** حيث قال:(**فانك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبربر.وبين وارجلان و قلعة أبي الطويل[5] مسيرة ثلاثة عشرة يوما[6]** .) فالبكري هو بدوره لم يعط تفسيرا لمدلولات الاسم و لم يحدد متى أطلق عليها، ولكنه قدم وصفا دقيقا للمدينة حيث قال:((**إنها تتكون من سبعة حصون وهي بلد يسكنها البربر و تقع في الصحراء.**)).

أما الجغرافي المغربي الشريف الإدريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي ، فقد ذكرها في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، باسم **وارقلان** بالقاف لا بالجيم ، ويفهم من كلامه أنها بلاد متطورة اقتصاديا لكون تجارها يشترون اغلب التبر الذي يباع في بلاد السودان الغربي ، ويضربونه عملة في بلادهم تسمى الدينار[7] .

أما صاحب الموسوعة الكبرى معجم البلدان، ياقوت الحموي الذي عاش في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي يذكرها باسم **ورجلان** حيث قال:(**ورجلان ، بفتح أوله و سكون ثانيه وفتح الجيم و آخره نون، هي كرة بين افريقية و بلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل و الخيرات يسكنها قوم من البربر**[8]) ، فياقوت الحموي قد دقق في نطق اسمها ، وحدد موقعها الجغرافي وتكلم عن نوع الجنس البشري الذي سكنها، والقوة الاقتصادية التي كانت عليها .

أما صاحب طبقات المشايخ أبو العباس احمد الدرجيني ،الذي عاش في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ،والذي ترجم لعدد كبير من علماء ومشايخ الجهة، كان دوما ينسبهم إلى مدينة **وارجلان**، مثل أبو صالح جنون بن يمريان الوارجلاني، و أبو عمار الكافي الوارجلاني، وأبو زكرياء يحيى الوارجلاني ,و أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، وفي ذكر جميع تحركات القوافل أو الأفراد ، يقول : الذاهبة إلى وارجلان أو القادمة من وارجلان[9] .

كما ذكرها أبو سعيد المغربي في كتابه الجغرافيا، الذي عاش في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ،باسم **وركلان** حيث قال : (**تسمى وركلان ....وهي بلاد نخيل و عبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط و افريقية ، والسفر منها إلى بلاد السودان كثير**[10]). ذكر الاسم دون تعليل لا من حيث تركيبته اللفظية و لا من حيث جذوره التاريخية ، و بالمقابل أعطى وصفا دقيقا للمدينة وعن حركتها التجارية مع بلاد السودان الغربي.

ولقد ورد ذ كرها كذلك في قصيدة شعرية ،باسم **وارجلان** للملك الزياني أبو حمو موسى الثاني ،الذي زارها سنة 774 هـ ـ 1372 م راثيا إياها بعد أن تعرضت لغزوة خارجية على أيام سلطنة بني غابول[11] الحاكمة في ورقلة حيث قال :

وجئت وارجلان وجزت مصابها لا مخبر غير الصلاد الأعاجم[12]

أما في مطلع القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي , فقد تعرض لها العلامة عبد الرحمن بن خلدون بنوع من التفصيل و التعليل, حيث ذكرها باسم **واركلا**، بكاف مكسورة وبدون نون أو تاء مربوطة في الأخير، وذكر أن الذين أسسوها هم قبائل بني واركلا الزناتيين، القادمين من منطقة الزاب، حيث قال: ((**بنو واركلا هؤلاء أحد بطون زناته كانت مواطنهم قبلة الزاب ، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة ،في القبلة منها ميمنة إلى الغرب ، بنو قصورا متقاربة الخطة ، ثم إستبحر عمرانها فائتلفت وصارت مصرا ...**))[13] ، ويتضح لنا من خلال طرح بن خلدون أن المؤسس الحقيقي للمدينة هو بطن أي فرع من قبيلة زناته البربرية التي حلت بالمنطقة ، وأسست هذه المدينة من العدم أي لم تجد مدينة قبلها, لكنه لم يحدد لنا التاريخ الذي قدمت فيه هذه القبيلة و أسست المدينة.

أما الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان ،الذي عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ، فقد ذكرها باسم وركلة بنصب الواو وسكون الراء و تنقيط الكاف بثلاثة نقاط إلى الأعلى مع تسكينه و نصب اللام, و أعطى وصفا ممتازا للحاضرة من حيث البناء المستعمل فيه مادة الآجر الني ، ومن حيث الفلاحة و النخيل، كما وصفها بكونها كبيرة و ثرية ، ويحيط بالمدينة عدد كبير من القصور، بالإضافة إلى القرى النائية، حيث قال: ((**وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر الني و دور جميلة وحولها نخل كثير ويوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى** [14]).).

وخلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي، مر عليها الرحالة المغربي أبو سالم عبد الله العياشي وهو ذاهب إلى البقاع المقدسة سنة 1059هـ ـ 1649م وذكرها باسم وارکلا مع وضع ثلاثة نقاط أسفل الكاف دون أن يقدم توضيحا أكثر عن هذا المصطلح ولا عن تاريخ تأسيس المدينة ، وكل ما قاله عنها :

أنها عظيمة ولها أبواب ، وتقع وسط غابة من النخيل و يحيط بالمدينة خندق مملوء بالماء ، في حين توسع كثيرا في الجانب الاجتماعي والثقافي،حيث تكلم عن الأكل واللباس ومستوى التعليم، وعن عادات دفن الموتى[15]

كما ورد ذكرها في كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، للناصري باسم وارکلان حيث قال : أن عرب بني معقل ملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناته بالقفر مثل قصور(**السوس غربا ، ثم توات ، ثم بودة ، ثم تمنطيت ، ثم وارکلان ، ثم تاسبيت ، ثم تكرارين شرقا** [16] .

أما المصادر والمراجع المعاصرة ،فقد ذكرت اسمها في صورتين فقط : وارجلان و ورقلة. فالشيخ إبراهيم أعزام المتوفى بورقلة سنة(1385هـ ـ 1965م) فقد ذكرها في مخطوطه غصن ألبان في تاريخ وارجلان باسم وارجلان حيث قال :(**إن لها أسماء عديدة ولكن الأصح هو اسم وارجلان**). و من جملة ما قال :(**كانت وارجلان قديما عامرة بالبربر و بفاتح القرن الثاني وهي عامرة بالاباضية من البربر و غيرهم**[17].) ، ويفهم من كلامه أنها كانت موجودة قبل القرن الثاني للهجرة و تحمل نفس الاسم وعامرة بالسكان ، و لكن بعد هذا التاريخ دخلتها أجناس أخرى.

أما صاحب كتاب الأعلام، خير الدين الزركلي، فعند تقديمه لتراجم أعلامها لا يسميهم إلا باسم الوارجلاني كقوله : أبو يعقوب يوسف الو رجلاني و أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني[18]

كما تعرض لها الشيخ احمد توفيق المدني في كتابة كتاب الجزائر حيث قال: (**ورقلة اسمها الأصلي بني وارجلان قصر من أبدع القصور البربرية في الجنوب الجزائري.وكانت وارجلان محط رجال الإباضية عندما تشتت الدولة الرستمية في القرن العاشر الميلادي.**) [19] .

ويذهب الشيخ عبد الرحمن الجيلالي، في كتابه تاريخ الجزائر العام ،إلى أن ورقلة كانت موجودة قبل القرن الثالث الهجري وتسمى بني ورجلان، وإنما المؤسس الجديد هو سدراته أو ما يعرف عند البربر بإسدراتن ، عند تعرضه لهجرة الإباضية من تيهرت إلى ورقلة حيث قال :(.. **دخلوا مدينة بني وارجلان وهناك على بعد أربعة كيلومتر جنوبا اخذوا في تأسيس عاصمتهم الجميلة سدراتة المعروفة عند البربر بإسدراتن ذات المدنية العظيمة**[20])

أما الرحالة والمغامرون والمستكشفون[21] والأثريون الأوروبيون الذين زاروا ورقلة في القرن التاسع عشر في مهمات مختلفة فقد ذكروها في مصنفاتهم من كتب و تقارير باسم ورقلة (Ouargla) دون أن يقدموا توضيحا حول أصل الكلمة ، وكل ما قالوا عنها : (**ورقلة مدينة بربرية صحراوية قديمة و ضاربة في القدم وسكنتها شعوبا متعددة الأعراق**) .

أما بالنسبة للآباء البيض الذين أرسلوا إلى ورقلة في مهمات دينية تبشيرية وتعليمية فهم بدورهم كتبوا عنها وعن أدق شؤونها، من عاداتها و تقاليدها و تنوعها العرقي البشري,و لغتها البربرية ، وعن طبيعتها و نباتاتها و حيواناتها ، ومن بين هؤلاء الأب جون ليتيليو Jean Lethielleux الذي عاش خمسين سنة في ورقلة من سنة 1928 إلى سنة 1978م ثم خلفه دنيس بيلي Deny Pillet الذي كان موجودا إلى غاية سنة 2013م أي 31 سنة.

وقد أعطى الأب ليتيليو في كتاباته هامشا كبيرا لأصل كلمة ورقلة [22] ،حيث يرى أن نطقها يختلف حتى ما بين مواطني المدينة وجيرانهم ، الوارقليون سكان القصر العتيق يسمونها وارقرن Wargren ، أما النقوسيون وهم سكان قصر نقوسة الذي يقع إلى الشمال من ورقلة على مسافة 22 كلم يطلقون عليها اسم وارقرة Wargra ،أما

الميزابيون فيسمونها وارجلن Wardjlan ، أما الطوارق فيسمونها إوارقلن Iwarglen، بينما البدو الرحل من العرب القاطنين على أطراف المدينة وهم آخر من حل بالجهة فيطلقون عليها اسم ورقلة Ouargla ، ورسخت هذه الأخيرة وأصبحت متداولة منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي ارض ورقلة في مطلع العقد الخامس من القرن التاسع عشر للميلاد .

ويضيف قائلا أن أصل كلمة ورقلة مركب من جزأين ــ الجزء الأول وار (war) وتعني أولاد أو أبناء بالورقلية الأمازيغية المحلية ، وكذلك بالتارقية ، أما الجزء الثاني من الكلمة قلن أو إقلن ــ glan أو Iglan ــ وتعني الأسود باللغة الورقلية القديمة ، وعليه فقد سميت المدينة في نظره على أساس لون بشرة أهلها ، أي أصحاب أو بنو البشرة السوداء[23] .

أما الأستاذ دحو جلول[24] فيرى أن أصل التسمية يعود إلى الفتوحات الإسلامية ، عندما حل الفاتحون الأوائل بالجهة في القرن الأول للهجرة السابع للميلاد ،و رأوا أن هذه المنطقة واحة خضراء تزخر بأشجار النخيل العالية الباسقة ، فقالوا راقلة ورقل في لغة العرب تعني ارتفع عن الأرض وأصبح عال أي شامخ ومنذ ذلك الحين أصبحت تسمى راقلة ثم وارقلة

بينما يرى الرحالة الفرنسي لارجو (Largeau) الذي مكث في ورقلة مدة سبعة سنوات من سنة 1872 إلى سنة 1879م إن أصل تسمية الحاضرة نسبة إلى امرأة تسمى ورقلة سكنت هذه الجهة وغرست النخيل وبنت كوخا ، وما لبثت أن التف حولها الناس ،وتكونت المدينة التي حملت اسمها[25] فيما بعد .

في حين الميثولوجيا[26]الشعبية ترجع أصل التسمية إلى أسد كان يهيمن على المدينة تم القضاء عليه بتآزر الجميع، و بالتالي انتشر بين الناس نبا قتله فقيل باللغة الأمازيغية(الوير انجلاء) .

وعليه فان المتتبع لأصل تسمية ورقلة ،يجد أنها قديما لم تذكر صراحة لدى المؤرخين الذين أرخوا للفترة الممتدة من التواجد الفينيقي بشمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، بل كل ما ذكر هو مجرد إشارات للشعوب التي سكنت جنوب الأطلس الصحراوي وعلى الخصوص البرابرة منهم.

وابتداء من القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد ، ذكرت ورقلة كونها مركز من مراكز الإباضية[27] و الحدود الجنوبية للدولة الرستمية من (160هـ إلى296هـ ــ 776 إلى 908م[28]))

ومع مطلع القرن الثالث للهجرة نهاية التاسع للميلاد ، ذكرت بقوة باسم وارجلان في كتب السير و التراجم وكتب الفقه الإباضي ،ولم يستثن أي مصدر من مصادر هذه الفترة خاصة الإباضية منها من ذكرها باسم وارجلان من القرن الثالث الهجري إلى السابع و من العاشر إلى الثالث عشر ميلادي[29] ، والجدير بالملاحظة أن هذه المصادر لم تخض في مجال مدلولات التسمية ،أهي نسبة إلى ارض ؟ أو إلى شعب ؟ أو إلى قبيلة ؟ أو هي كلمة مركبة ؟

أما المصادر الأخرى[30]من القرن السادس الهجري إلى الحادي عشر، من الثاني عشر إلى السابع عشر ميلادي ،فقد ذكروها باسم ــ واركلة ، أو وارقلان ، أو واركلة ، و لم تقدم هي كذلك تفسيرا للمصطلح ماعدا عبد الرحمن بن خلدون الذي ارجع تسمية المدينة نسبة إلى قبائل بني واركلا الزناتيين الوافدين على المنطقة من الزاب.

أما المراجع الفرنسية التي كتبت في القرنين التاسع عشر و العشرين الميلاديين،فلم تذكرها إلا باسم ورقلة Ouargla[31] .

وعليه كما يقول الشيخ إبراهيم أعزام وعثمان الكعاك وعبد الرحمن الجيلالي[32] (**إن القاعدة في كتابة هذه الألفاظ تقول أن كل ما يجلجل يكلكل ويقلقل**)مثل ما ينطق المصريون الجيم قافا و اليمنيون القاف قافا، و الجيجليون في الجزائر القاف كافا .

ومن هنا نلاحظ أن التسميات تختلف في نطقها عند المجتمعات العربية من مجتمع لآخر ومن قبيلة إلى أخرى ، فعليه أسماء واركلان أو وارقلان أو وارجلان أو ورقلة هي سيان الاختلاف في النطق فقط . وفي كل فترة تاريخية سادت فيها تسمية معينة تختلف عن الأخرى.

تأسيسها حسب الروايات المختلفة

في ظل غياب المصادرة التي درست بعمق تاريخ هذه المدينة ، يبقى الترجيح و التأويل هو الغالب ، في كتابات المؤرخين المختصين في تاريخ الحواضر و المدن حيث وجدت تضاربا في كتاباتهم ، حول تاريخ تأسيسها ، فهناك من يرجعها إلى العصور الحجرية في حين ترجعها طائفة أخرى إلى فجر التاريخ ، و هناك من يرجعها إلى الفترة القرطاجية و النوميدية ، و يرجعها جمهور كبير من المؤرخين إلى الفترة الإسلامية ، فعليه سأحاول أن أناقش هذه الفرضيات ، ونرجح الأقرب إلى المنطق بالدليلين المادي و العقلي .

تذهب بعض المراجع إلى القول إن تأسيس ورقلة قديم ، يعود إلى العصور الحجرية ويعللون ذلك بوجود أدوات حجرية صنعها الإنسان القديم بهذه الجهة ، يعود بعضها إلى العصر الحجري القديم و البعض الأخر إلى العصر الحجري الحديث وبكميات كثيرة جدا، حيث لا تخلوا منها جهة من الجهات الأربعة المحيطة بالمدينة على شعاع طوله 40 كلم[33].

فعلا أن الإنسان القديم مر بهذه الجهة و لم يشيد أية مدينة ،ولم يترك أي عمران ، بل كان إنسانا جوالا لا يمكث كثيرا في منطقة حتى يغادرها ، ولم يعش حتى في شكل تجمعات بشرية كبيرة ، مع الإشارة إنه بدأ يعرف نوعا ما الاستقرار ، و ذلك من خلال استعماله للكهوف والمغارات الموجودة بأعالي ورقلة بمنطقة بامنديل في العصر الحجري الأخير وخاصة في المنطقة التي تعرف باسم كهف السلطان[34] على بعد حوالي عشرين كيلو متر جنوب غرب ورقلة ، وسبق وأن زار هذه الكهوف الرحالة الفرنسي لارجو Largeau سنة 1877م ، و وجد فيها كهوفا يصل عمقها إلى ثلاثين مترا و تحتوي على طوابق وغرف ،و أخذ مقاييس إحدى هذه الغرف فوجد ارتفاع الغرفة المحفورة في الجبل يصل إلى 1,70 مترا و طولها 3,90 مترا و عرضها2,75 مترا، وكما اكتشف كتابة باللغة العربية لم يستطع أن يفهم منها إلا لفظ الجلالة الله[35].

ولكن هذه النواة الأولى للتمدن والاستقرار لم تعرف في التاريخ باسم معين، وقد دلت الآثار المادية التي لا تترك مجالا للشك أنها كانت تمتد من الجهة الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الغربية ، أي من موقع الحمراية بضواحي مدينة نقوسة إلى كهف السلطان مرورا بملالة و حاسي مويلح و العظام ، و بهذه الصورة يمكن أن نقول أنه استعمل اعلي الهضاب كمعمل للصناعة الحجرية , و سفحها كهوفا ومغارات للإيواء ، و المنخفض للصيد و الزراعة و الرعي ، أي أن الإنسان في هذه الفترة المبكرة لم يعرف لا الدور ولا القصور ، بل استعمل المغارات ،و الكهوف كمأوى يقيه من البرد والحر و المطر و الزوابع الرملية و الحيوانات المفترسة.

بينما يذهب الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان (الذي عاش في القرن السادس عشر ميلادي) إلى أنها مدينة نوميدية أسسها النوميديون في صحراء نوميديا حيث قال:(وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها سور من الحجر الني و دور جميلة و يوجد في ضواحيها عدة قصور و عدد لا يحصى من القرى[36]) إن المتتبع لما قال الحسن الوزان يستنتج من كلامه أنها كانت مملكة قوية و محصنة بسور له أبواب، وعاصمة لمجموعة من القصور والقرى المجاورة لها، و الثراء ظاهر عليها و على سكانها ،و لكنه لم يقدم أي سند على أنها تعود إلى الفترة النوميدية. في حين ترى أغلب المراجع أنه ابتداء من نهاية القرن الأول قبل الميلاد وتحت ضغط الاحتلال الروماني ، حلت أفواج من البربر إلى الصحراء ، ولم تستطع العودة لكون الجهات الشمالية محاصرة من طرف الجيوش الرومانية ، فسكنت أولا منطقة الزاب وما لبثت أن عمرت كل الوديان و المنخفضات التي تقع إلى الغرب و

الجنوب الغربي من الزيبان من وادي ريغ إلى غاية حاسي ريرة Rirha الذي يقع على بعد ثلاثين مرحلة جنوب غرب ورقلة[37] , وأسسوا مع بداية التاريخ الميلادي في منخفض وادي مائة من قارة كريمة غربا إلى فران شرقا ما يزيد على ثلاثمائة و خمسة و ستون قرية[38] . لم يبق منها الآن إلا أقل من ثلثها ، هذا ما يؤكد رأي عبد الرحمان بن خلدون حين يقول أنها بنيت من طرف قبائل بني وارکلا القادمين من زناتة[39] أي أنهم زحزحوا من طرف الرومان إلى هذه المنطقة أين (اختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة ، في القبلة منها ميمنة إلى المغرب . بنوها قصورا متقاربة الخطة .ثم إستبحر عمرانها ، فائتلفت و صارت مصر) . في حين يرى الرحالة لارجو Largeau أن ورقلة لم تؤسس إلا مع قدوم العرب الفاتحين إلى المغرب سنة 666 م ، وشنوا حربا على الأهالي ، و حاصروهم في قارة كريمة حصارا طويلا دام ما يقارب الشهر ، وبعد أن يئسوا رفعوا الحصار و غادروا المنطقة ، فنزل الأهالي إلى الوادي مرة ثانية ، فوجدوا أن قراهم قد هدمت ، و نخيلهم قد قطعت ، فقامت امرأة منهم يقال ورقلة فبنت كوخا التف حولها الناس و شيدوا ديارا تلاحمت مع بعضها البعض و تأسست بذلك المدينة [40].

يبدوا لي أن هذه المعلومة أقرب إلى ألأسطورة منها إلى الواقع ، و أن هذه الغزوة التي يذكرها قد تكون من حثالة الرومان الباقية،لكون الأسلوب الذي سلكه هؤلاء الغزاة ليس من أسلوب المسلمين في عملية الفتح بالإضافة أنها وقعت سنة 666 م في حين أن الفتوحات إلى أعماق الجزائر كانت على يد عقبة بن نافع سنة 64هـ ـ684م [41].

ويرى الأب جون ليتيليو Jean Lethielleux : أن تأسيس ورقلة لم يكن إلا سنة 108هـ ـ726م على يد الشيخ حادور Hadour القادم من الزنجبار مع جماعته ، أين استقر وأسس المدينة الجديدة ، وأقام فيها مع العبيد الذين جلبهم معه [42] .

وكما يروي تريملي Trumelet. C قصة عن تأسيس ورقلة مفادها أن مؤسس قصر ورقلة هو الملك الكبير سليمان سلومو Le grand roi sliman salomo الذي شيده على ربوة استعمل في بنائه الحجارة ، طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا و يتكون من ثلاثة أحياء ، و يبدوا أن هذه القصة مجرد أسطورة رويت له و فيها مزج بين هذا الملك و سيدنا سليمان عليه السلام [43]، ولم يقدم أي دلائل تاريخية عن هذا التأسيس .

وترى فئة من المؤرخين أن تأسيسها كان في القرن الثاني ميلادي ، عندما قام الرومان بحملة استيطانية واسعة ، استحوذوا من خلالها على الأراضي الزراعية الخصبة ، وطردوا البرابرة الزناتيين إلى عمق الجزائر ، فحل فخذ منهم يدعى بنو وارکلا إلى حوض وادي مائة ، و شيد مجموعة من المنازل المتجاورة مع بعضها البعض ، كبرت مع الزمن فكونت مصرا ،حمل اسمهم إلى يومنا هذا .

ويرجع بعض المؤرخين الآخرين أن تأسيس هذه المدينة يعود فقط إلى بداية الفتح الإسلامي عندما وقعت فتن داخلية[44] أدت إلى هجرة مجموعة من البرابرة إلى حوض وادي مائة ، أين أسسوا قصورا كثيرة منها قصر ورقلة.

في حين يرى الأثريون أن قصر ورقلة و هو الخلية الأولى في تأسيس المدينة ، يعود إلا للفترة الإسلامية ودليلهم على ذلك ما يتوفر عليه من مميزات الحضارة الإسلامية [45] , المتمثلة في كثرة المساجد و الزوايا ،و النمط العمراني للمنازل الذي يحمل خصائص العمارة الإسلامية في جميع أوجهها، من أقواس و قباب و أقبية و زخرفة جصية إسلامية .

ومن خلال هذه الأطروحات، نستطيع أن نقول أن ورقلة كوعاء حضاري وبشري وجد منذ أزمنة عتيقة ، ولكن لم يؤسس كيان اجتماعي مميز إلا مع فجر التاريخ ، حيث ظهرت تجمعات سكنية عديدة ، وبأسماء متنوعة انقرضت من الوجود ، ومع الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا في الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد و القرن الأول قبل الميلاد وسقوط الدويلات الأمازيغية القديمة ـــــ النوميدية و القرطاجية و الموريتانية ـــــ ، وتحت ضغوط المستعمر

الروماني الذي انتهج سياسة الاستيطان ، انتقل البرابرة الزناتيين إلى الجهة الجنوبية ، وأسسوا فيها قرى كثيرة توسعت وتلاحمت مع بعضها بعضا مكونة مصرا متجانسا اجتماعيا و سياسيا أي شبه إتحاد كوفيدرالي[46] . حاملة اسم اكبر قبيلة من القبائل المكونة لها وهي قبيلة بني واركلا الزناتية ، و أصبحت منذ هذا التاريخ المبكر محطة هامة من المحطات القوافل التجارية القادمة من الشمال أو الذاهبة إلى أعماق الصحراء .

وظلت على هذه الصورة حتى دخول الإسلام إليها في القرن الأول للهجرة ، وقد تعرضت هذه المدينة عبر تاريخها الطويل إلي أكثر من غزوة , و تهديم كلي ويعاد بناؤها من جديد في القرون الوسطى الإسلامية ، ومن ضمن هذه الحملات نذكر ــ حملة المنصور الحمادي سنة 468 هـ ــ1076 ميلادي وهدم خلالها ورقلة و سدراتة ،وقفل راجعا بالغنائم و السبي [47] ، وخربت مرة أخرى على يد الميورقي بن غانية ألمرابطي سنة 631 هـ 1233م ، ويعاد بناء المدينة من جديد ، و يوضع لها سورا خارجيا له سبعة أبواب ، وخندق عرضه اثنا عشرة مترا مملوء بالماء، وجسور متحركة تغلق ليلا وأثناء الغزوات.

ومنذ هذا التاريخ أي القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي و حاضرة ورقلة واقفة شامخة تتحدى في كل الصعاب.

ومن خلال هذا العرض يمكن لي أن أرجح أن تأسيس مدينة ورقلة وحملها لهذا الاسم بمختلف الألسن التي نطقته يعود إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية ، أي إلى فترة الاحتلال الروماني للجهة ، يوم هاجرت بعض القبائل الأمازيغية مثل: ريغة ـــ و واركلا ـــ وبني مصاب ـــ إلى الجنوب وأسسوا مدن وحواضر من ضمنهم مدينة ورقلة .

الخلاصة :

من خلال هذا العرض يتبن لنا أن اسم مدينة ورقلة عبر تاريخها الطويل و الضارب في القدم ، لم يكن ثابتا في نطقه ، لكونه متغير في شكل كتابته ، حيث ورد ابتداء من القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد باسم وارجلان في المصادر الإباضية التي أرخت للعلاقات الخارجية للدولة الرستمية مع الحواضر و الدول المجاورة لها ، حيث ذكرت أن القوافل التجارية المتجهة جنوبا إلى بر السودان الغربي كانت تمر حتما بحاضرة وارجلان ، لغرض التزود بمنتجات الواحات ، وتدعيم القافلة بالجمال ولتؤجر الخبراء في ميدان المسالك الصحراوية وعليه ابتداء من هنا التاريخ ذكرت باسم وارجلان ، وبعد هذا التاريخ أي من القرن العاشر إلى القرن السابع عشر ذكرت بأسماء مختلفة في المصادر غير الإباضية ، حيث سميت وارقلان و واركلان و واركلا و واركلة ، أما في القرنيين التاسع عشر و العشرين فقد كتبت في صورتين وارجلان وورقلة لكن يرجح جمهور المؤرخين أن كل هذه الاختلافات مردها اختلاف في النطق وفي ألسنة القوم ، بينما التسمية مصدرها واحد هو قبيلة واركلة الزناتية ، كما فسرها عبد الرحمن بن خلدون .

أما عن تأسيس المدينة فقد ورد حولها اختلاف كبير ، رويت عنها قصص وأساطير لا يصدقها العقل و المنطق الانساني ، فالبعض أرجع تاريخ تأسيسها إلى عهد سيدنا سليمان عليه السلام ، والبعض الآخر إلى ذو القرنين ، وفئة أخرى إلى الشيخ حادور القادم من الزنجبار في مطلع القرن الثامن للميلاد ، ويبدوا لي أن الأقرب إلى المنطق أن تأسيسها كان من أبنائها الأمازيغ بنو واركلا الزناتيين الذين أتوا فارين من الضغط الاستعمار الروماني الاستيطاني الذي طردهم من أراضيهم الخصبة لغرض استغلالها في الزراعة ولبناء المستوطنات لرعاياه ، فما كان منهم إلا التوغل نحو الجنوب ، وما إن وصلوا إلى منطقة بالصحراء يتوفر فيها الماء والكلأ ، حتى نزلوا بأرضها وشرعوا في بناء قصورها ، وغرس نخيلها كان ذلك قبل الفتح الإسلامي ، لكن معالم هذا العمران القديم غير واضحة ، نظرا لكون المدينة عبر تاريخها الطويل قد تعرضت لسلسلة من الحملات هدمتها عن آخرها وطمست معالمها وأعيد بناؤها في نفس المكان ، وآخر معالم وصلتنا هي معالم العمارة الإسلامية المتمثلة في استعمال الأقواس في البناء ، وفي تصميم المنازل , وفي وجود المساجد في كل حي و الأسوار الدفاعية المحيطة بالمدينة ، ومن هذا المنطلق يرجح علماء الآثار أن مدينة ورقلة قد تأسست بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا أي بعد القرن السابع للميلاد.

الهـــوامش :

(1)ــ شنيتي محمد بشير :التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري ،مجلة الأصالة ،العدد 41 ،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر، 1977 ، ص 24 .

(2) – Revue africaine. N .64 .année .1923 -`historique de Ouargla. Le gouverneur général d`Alger : Notes pour .pp . 381- 382.

(3)ــ موسي الإقبال : (توفي 1430هـ ــ 2009 م) : المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى نهاية ثورات الخوارج الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، سنة 1981 م ، ص ،29 .

(4)ــ أبو زكرياء يحيى بن بكر (توفي 471 هـ ــ 1078 م) : كتاب سير الأئمة و إخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، سنة ،1979م ، الجزء الأول ، ص، 124.

(5) ــ قلعة أبي الطويل : هي قلعة بني حماد بولاية المسيلة حاليا .

(6)ــ أبو عبد الله البكري (توفي 487 هـ ــ 1094م) : المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة مصر، د.ت.ط. ،ص،182 .

(7)ــ الشريف الإدريسي (توفي 548 هـ 1154م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد مصر ، د.ت.ط. ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ص ، 24ــ 25 .

(8)ــ ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله الحموي (توفي 626 هـ ــ 122م) :معجم البلدان ، دار الصادر بيروت لبنان ، 1977 ، الجزء السادس ، ص 1795 .

(9)ــ أبو العباس احمد بن سعد الدر جيني (توفي 670 هـ 1271م) : كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق ،إبراهيم طلاي ،مطبعة البعث قسنطينة ، د. ت . ط . الجزء الثاني ، ص ، 62 .

(10)ــ أبو سعيد المغربي (توفي 685 هـ 1286م) :كتاب الجغرافيا ،تحقيق ،إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، سنة 1982م ، ص 126 .

(11)ــ سلطنة بني غابول : بعد سقوط المدينة الدولة الحاكمة في الجهة في ذلك الحين سدراته على يد بن غانية ألمرابطي سنة 626 هـ ــ 1229م ، هاجرت الأغلبية من سكانها إلى وادي ميزاب ، وفئة قليلة منهم توجهت إلى قصر وارجلان والتحمت مع أشقائهم في حي بني واقين ، وبعد أكثر من خمسين سنة من الإفلات الأمني في الجهة وقع شبه إجماع محلي مفاده أن تكون هناك سلطة تأمر و تنهي في البلاد ، فوقع الاختيار على أسرة بني غابول أن تتولى مهمة تسيير شؤون البلاد ابتداء من سنة ــ1283م إلى سنة 1381م .

(12) ــ عبد الرحمن الجيلالي : ابو يعقوب يوسف الورجلاني ، مجلة الأصالة ، العدد، 41 ،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر، 1977 ، ص ، 164 .

(13) ــ عبد الرحمن بن خلدون (توفي 809 هـ 1406 م) : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، الجلد السابع القسم الثالث عشر ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ،سنة 1983، ص ص ،106 و107 .

(14)ــ ــ الحسن ابن محمد الوزان الفارسي (توفي 957 هـ 1550م) : وصف إفريقيا ،ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ، سنة ، 1983م ، ص ص 136 و137 .

(15)ــ أبو العباس عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (توفي 1090هـ 1679م): رحلة العياشي (ماء الموائد) ، مطبعة حجرية فاس ،المغرب ،سنة 1898م ، ص 45.

(16)ــ أبو العباس احمد خالد الناصري (توفي 1310هـ 1892م) : كتاب الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب سنة 1954م ، الجزء الثاني ، ص 159 .

(17)ــ الشيخ إبراهيم أعزام : (توفي 1385 هـ ــ 1965م) : مخطوط ، غصن البان في تاريخ وارجلان ،ص,29 .

(18)ــ خير الدين الزر كلي (توفي 1396 هـ 1976م): الإعلام قاموس تراجم ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ،الطبعة 15 ،سنة 2002م ، الجزء الثامن ، ص ، 113 .

(19)ــ احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص، 244 .

(20) ــ عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة بيروت لبنان ، 1980م ،ج1،ص 176 .

(21)ــ المستكشفون و الأثريون الذين زاروا ورقلةفي القرن التاسع عشر نذكر منهم : باربروجير Berbrugger سنة 1857 و دوفيريي Henri Duveyrier من سنة 1859 إلى سنة 1861 م، و فيل L. Ville سنة 1861 ، و فلاتيرس Flatters سنة 1881 ، وتاري Tarry سنة 1881 ، و بلانشي P. Blanchet سنة 1898 ، C. Ferrau من سنة 1871 إلى 1872 ، و لارجو Largeau من سنة 1872 إلى

1879 ، و بول سولايي P/Solleillet سنة 1873، و هوماس مع ديـران Hemas et Durand سـنة 1875، و ويسـجاربر مـع رولانـد Weisgerber et Rolland من سنة 1879 إلى 1883 .

(22)ـ -Jean Lethielleux (Jean) : OUARGLA Cité Saharienne Des Origines au Début de xx Siècle. Paris 1984. : . p .19 Ibid . p . 20

(23) ـــــ دحو جلول : أستاذ أدب عربي ، خريج جامعة الزيتونة متقاعد ، قدم محاضرة حول تاريخ ورقلة بدار الشباب هواري بومدين بورقلة يوم 11 . 06 . 1987 .

(25) – V. Largeau : Le pays de rirha ouargla .paris . 1879 . pp .156 . 157.

(26)ـ تروي الأسطورة الشعبية أن أسدا كان جاثما أمام المورد المائي الوحيد بالحاضرة، وكلما اقترب منه الناس للسقي إلا و الـتهم احـدهم ،فاتفق الجميع على محاربته وفعلا تمكنوا من القضاء عليه ، ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة محررة من خطر الأسد ،و قيل باللغة المحليـة الامازيغية ـ **الوير** ـ **انجلاء** ـ **والوير** بالامازيغية معناه الأسد ، و انجلاء باللغة العربية معناه زال أو غـاب أو ذهـب ، ومنـذ يومهـا أصبحت تسمى الوير نجلاء ـ ومع مرور الزمن نطقت وارجلان ، ويفهم من هذه الأسطورة أن هذا الاسم أطلـق عليهـا إلا بعـد انتشـار الإسلام واللغة العربية لكونهم استعملوا كلمة انجلاء وهي كلمة عربية قحة

(27)ـ مسعود مزهودي : تأسيس وارجلان و سدراتة من خلال الروايات التاريخية ، مدونة أشغال الأيام الدراسية الأولى حـول سـدراتة ، ورقلة من 23 إلى26 أبريل 1997م ، منشورات مديرية الثقافة لولاية ورقلة سنة 1997 ، ص 11 .

(28)ـ محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1965م، ص,767.

(29)ـ من مصادر هذه الفترة التي اطلعت عليها او على مضمونها نذكر : كتاب سير الأئمة و أخبارهم ،لابي زكريـاء يحيى (تـوفي 471 هـ 1078م) و طبقات المشايخ ، لأبي العباس احمد الدرجيني (توفي 670 هـ 1271م) و كتاب سير المشـايخ لأبـي العبـاس احمـد الشماخي (توفي 928هـ ـ 1521م) .

(30)ـ ومن هذه المصادر نذكر ـ نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، للشريف الادريسي (توفي548هـ 1154 م) وكتـاب العبـر، لابـن خلدون ، (توفي 809 هـ 1406م) ووصف افريقيا ،للحسن بن الوزان ، (توفي 957هـ 1550م)، وكتاب رحلة العياشـي ،لأبـي سـالم العياشي ، (توفي 1090هـ 1679 م) .

(31) - J . Delheure : Vivre et mourir a ouargla . Paris . 1988. p . 11. (32) ـ عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق ، ص , 164 .

(33)- AUMASSIP (G). et.HACHI.(S) :Le gisement acheuléen de l`erg touareg. Aux environs de Ouargla .Libyca .C.R.A.P.E tome .xxll. 1984. p.97

(34) ـ كهف السلطان : منطقة تقع جنوب غرب وارجلان على بعد حوالي عشرين كيلو متر ،سكنت من طرف السلاطين القدامى لوارجلان بها كهوف ومغارات عديدة وعلى شكل طوابق زارها العديد من الرحالة و العسكريين الفرنسيين في القرن التاسع عشر

(35)- LARGEAU .(V).: le pays de rirha Ouargla . paris.1879 p.184.

(36) ـ الوزان(الحسن بن محمد الفاسي): المصدر السابق , ص ، 136 .

(37) - Notes historiques sur la province de Constantine - Charles)(FERAUD – V. Largeau : op. cit. p. 153 -Ouargla

(38) Revue Africaine. Volume 30 années 1886.p.265

(39) ـ ابن خلدون(عبد الرحمان) : المصدر السابق . ص ، 106 .

(39)(41) ـ بورويبة (رشيد وآخرون) : الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي ، الشركة الوطنية للكتاب الجزائر،1984م. ص ، 47 .

ـــــ V. Largeau : op. cit .pp. 152 .153

ـــــ Jean Lethielleux (Jean).op.cit. P.20

(42) C .Trumlet : Les Francais dans le desert . Paris . 1863 . pp . 10 . 11

(43) ـــ حساني (مختار) : موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية ، الجزء الثالث مدن الجنوب ، دار الحكمة الجزائر 2007م ، (44) . 187

(45)ـ حملاوي علي : مواقع و معالم أثرية من الجنوب الشرقي {منطقتي ورقلة و وادي ريغ }، مجلة البحوث الأثرية قسم الآثار جامعـة الجزائر ، ص ، 62 .

(46) ـ C. Trumlet : op . cit . p . 21 . (47) ـ رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، الطباعة الشعبية م، ص ص،72 و 73 للجيش الجزائر2007